(٣)

الصـــــيام[١]

الحمد لله الذي أنعم علينا بشهر رمضان، وأنزل فيه القرآن، هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرض علينا الصيام تربية لنا وتهذيبا، لا إرهاقا وتعذيبا ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[البقرة: ١٨٥]

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، خير من صلي فأحسن الصلاة، وأفضل من صام فأحسن الصيام، وسيد من جاهد فأحسن الجهاد، كان أعبد الناس لله، وأجود الناس علي الناس وكان أعبد ما يكون وأجود ما يكون في رمضان، حينما ينزل جبريل يتدارس معه القرآن، فهو أجري بالخير من الريح المرسلة[٢]. صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أسرار الصيام:

فيقول الله تعالي: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

يا معشر المسلمين هذا هو شهر الخير والبركة، لقد فرض الله علينا

---

(١) لفضيلة شيخنا العلامة القرضاوي كتابات خاصة عن الصيام، ولعل أكثرها اتساعاً، وأشملها أحكاماً هو كتاب: «فقه الصيام» كما أن للشيخ في كتابه: «العبادة في الإسلام» كلاماً أدبيا بليغا عن الصيام، ولكنه ليس كلاماً فقهياً، وإن كان لا يخلو الفقه منه. وإنما هو كلام عن: فلسفة الصيام، كلام عن أسرار ومقاصد وحكم الصيام، وهذه الخطبة تتضمن الحكم والأسرار والمقاصد، إلي جانب إضافات جديدة لم تذكر في كتاب: «العبادة في الإسلام».

(٢) إشارة إلي حديث عبد الله بن عباس وفيه: كان رسول الله أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان... «والحديث رواه البخاري في الصوم (١٩٠٢) ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨).

الصيام في رمضان، وما فرضه إلا لأسرار عليا، وحِكَم بالغة، نعرف منها ما نعرف، ونجهل منها ما نجهل، ويكشف الزمن عن بعضها ما يكشف.

وكم لله من سـرٍّ خفيّ يدق خفاه عن فهم الذكيّ

فعلينا أمة الإسلام أن نتأمل حكمة الله من وراء هذا الجوع والعطش، وأن ندرك سرّه تعالي في الصوم، حتي نؤديه كما أراده الله، لا كما اشتهاه الناس.

الصوم تقوية للروح:

ولن نستطيع أن ندرك سر هذا الصوم، إلا إذا أدركنا سر هذا الإنسان، فما الإنسان؟ وما حقيقته؟

هل هو هذه الجثة القائمة، وهذا الهيكل المنتصب؟ هل هو هذه المجموعة من الأجهزة والخلايا واللحم والدم والعظم والعصب؟ إن كان هذا هو ذلك فما أحقره وما أصغره[1]!!

نعم.. ليس الإنسان هو ذلك الهيكل المحسوس، إنما هو روح سماوي، يسكن هذا الجسم الأرضي، وسر من الملأ الأعلي في غلاف من الطين.

ليست حقيقة الإنسان إلا هذه اللطيفة الربانية، والجوهرة الروحانية، التي أودعها الله فيه، بها يعقل ويفكر، وبها يشعر ويتذوق، وبها يدبر ملك الأرض، ويتطلع إلي ملكوت السماء، ومن أجلها أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم، لا لما فيه من حمأ مسنون، وطين معجون ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

ذلكم هو الإنسان، روح علوي وجسد سفلي، فالجسد بيت والروح صاحبه وساكنه، والجسد مطية والروح راكب مسافر، ولم يخلق البيت لنفسه، ولا المطية

---

(١) لفضيلة شيخنا العلامة القرضاوي كلام طيب في كتابه: «الإيمان والحياة» قارن فيها بين نظرة الماديين للإنسان ونظرة المؤمنين له. انظر الكتاب المذكور. فصل: (الإيمان وكرامة الإنسان) ص٥٧ وما بعدها. مكتبة وهبة.

لذاتها، ولكن البيت لمصلحة الساكن، والمطية لغاية الراكب، فما أعجب هؤلاء الآدميين الذين نسوا أنفسهم، وذكروا شهواتهم، وجعلوا من ذواتهم خدما لمطاياهم، وأهملوا أرواحهم، وعبدوا أجسادهم، فللجسد وحده يعملون، ولإشباع غرائزه الخسيسة ينشطون، وحول بطونهم وفروجهم يدورون، نشيدهم الدائم قول القائل:

إنما الدنيا طعام ... وشراب ومنام
فإذا فاتك هذا ... فعلى الدنيا السلام

أولئك الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ذلكم هو الإنسان روح وجسد، فلجسده مطالب من جنس عالمه السفلي، وللروح مطالب من جنس عالمها العلوي، فإذا أخضع الإنسان أشواق روحه لمطالب جسده، وحكّم غريزته في عقله، استحال من ملاك رحيم إلي حيوان ذميم، وربما إلي شيطان رجيم. هذا الذي ناداه الشاعر المؤمن:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان!!

أما إذا عرف الإنسان قيمة نفسه، وأدرك سر الله فيه، وحكّم جانبه السماوي في جانبه الأرضي، وعني بالراكب قبل المطيّة، وبالساكن قبل الجدران، وغلّب أشواق الروح علي نوازع الجسد، فقد صار ملاكا أو خيرا من الملاك ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [البينة: ٧].

لماذا فرض الله الصيام؟

ومن هنا فرض الله الصيام ليتحرر الإنسان من سلطان غرائزه، وينطلق من سجن جسده، ويتغلب علي نزعات شهوته، ويتحكم في مظاهر حيوانيته ويتشبه بالملائكة، فليس عجيبا أن ترتقي روح الصائم ويقترب من الملأ الأعلي،

ويقرع أبواب السماء بدعائه فتفتح، ويدعو ربه فيستجيب له، وينادي فيقول: لبيك عبدي. وفي هذا المعني يقول النبي ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»(١).

صوموا تصحوا:

وإذا كان في الصوم فرصة -أي فرصة- لتقوية الروح، ففيه فرصة -أي فرصة- لتقوية البدن، فإن كثيرا مما يصيب الناس من أمراض إنما هو ناشيء من بطونهم التي يتخمونها بكل ما تشتهي، غير مفرقين بين ما ينبغي وما لا ينبغي وقد قال النبي ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكيلات يُقِمْن صُلْبَه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(٢).

وإذا كانت البطن مستنقع البلايا، وكانت المعدة بيت الداء، فإن الحمية (أي الامتناع عن الأكل) رأس الدواء، وقديما قال «أبقراط»: (أكل الناس أكل السباع فمرضوا، فداويناهم بأغذية الطيور فصحوا) وليس كالصوم فرصة تستريح فيها المعدة، ويتخلص الجسم من كثير من فضلاته الضارة. وقد نشرت إحدي المجلات أن ثلاثمائة قد برؤوا من البول السكري بعلاج الصوم، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: (اغزوا تغنموا وسافروا تستغنوا وصوموا تصحوا)(٣).

الصوم تربية للإرادة:

وفي الصوم تقوية للإرادة، وتعويد علي الصبر، فالصائم يجوع وأمامه شهي الغذاء، ويعطش وبين يديه بارد الماء، ويعف وبجانبه زوجته، لا رقيب عليه في

---

(١) رواه أحمد في المسند (٨٠٤٣) عن أبي هريرة، وقال مخرّجو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده ورواه عبد بن حميد (١٤٢٠)، وابن المبارك في الزهد (١٠٧٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣٤٩) وابن حبان (١٣٤٨) وهو في الإحسان (٦٧٤) ورواه الترمذي (٢٣٨١) وقال: حديث حسن صحيح، انظر المنتقي (١٢٥١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٠٤).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٧٤) عن أبي هريرة، وقال المنذري في الترغيب: رجاله ثقات، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب (٥٧٣) ولهذا لم يذكره شيخنا في المنتقى.

ذلك إلا ربه، ولا سلطان إلا ضميره، ولا يسنده إلا إرادته القوية الواعية، يتكرر ذلك خمس عشرة ساعة أو أكثر في كل يوم، وتسعة وعشرين يوما أو ثلاثين في كل عام، فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية، وتعليم الصبر الجميل كمدرسة الصيام؟ التي يفتحها الإسلام إجباريا للمسلمين في رمضان، وتطوعا في غير رمضان.

لقد كتب عالم نفساني ألماني بحثا عن تقوية الإرادة، أثبت فيه أن أعظم وسيلة لذلك هي الصوم.

أما الإسلام فقد سبق علماء النفس، كما سبق من قبل أطباء الجسم، وحسبك أن تسمع نداء رسول الله للشباب: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»(١).

ولأن رمضان يعلم الصبر؛ نسبه الرسول إليه، فقال لبعض الصحابة: «صم شهر الصبر رمضان» قال: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني، قال: «فصم يوما من كل شهر»(٢)، وقال في حديث آخر: «لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم، والصوم نصف الصبر»(٣).

وإنما كان الصوم نصف الصبر لأن في الإنسان قوي ثلاثة: قوة شهوية كالتي في البهائم، وقوة غضبية كالتي في السباع، وقوة روحية كالتي في الملائكة. فإذا تغلّبت قوته الروحية علي القوتين: الشهوية والغضبية كان ذلك هو الصبر كله، وإذا تغلبت علي إحداهما كان ذلك نصف الصبر، وفي الصوم يتغلب المسلم علي قوته الشهوانية من بطن وفرج، فكان الصوم حقا نصف الصبر.

تعريف بالنعمة:

ومن حكم الصوم أنه: يُعرّف المرء بمقدار نعمة الله عليه، والإنسان إذا تكرّرت

---

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (٨٨٤) رواه البخاري في النكاح (٥٠٦٥) ومسلم في النكاح (١٤٠٠) عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢٠٣٢٣) عن رجل من باهلة، وقال مخرّجو المسند: حسن لغيره، رواه أبو داود (٢٤٢٨) وعبد بن حميد (٤٠٠) والنسائي في الكبري (٢٧٤٣).

(٣) رواه ابن ماجه في الصيام (١٧٤٥) وقال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده ضعيف (٣/١٠٥) وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه (٣٨٢).

عليه النعمة قلّ شعوره بها، فإن النعمة لا تعرف إلا بفقدانها، فالحلو لا تَعْرف قيمته إلا إذا ذُقْتَ المر، والنهار لا تعرف قيمته إلا إذا جَنّ عليك الليل، وبضدها تتميز الأشياء.

ففي الصوم معرفة لقيمة الطعام والشراب والشبع. ولا يعرف ذلك إلا إذا ذاق الجسم حرارة العطش، ومرارة الجوع.

رُوي أن الحسن البصري رضي الله عنه كان صائما، فأقبل وقت الفطور فأُتي بكوب بارد من الماء فأمسك به، ورأي نعمة الله في هذا الكوب، وتذكّر من الذي جاء بها، من الذي فجره ينابيع، ومن الذي أنزله مطرا، من الذي ساقه إليه، وظل يفكر حتي أغمي عليه، فلما أفاق قيل له: ماذا أصابك يا أبا سعيد؟ فقال: تذكرت أشياء وأشياء، وتذكرت أهل النار في النار، وأهل الجنة في الجنة، حيث ينادي أهلُ النار أهلَ الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء. فيقولون: إن الله حرمها علي الكافرين.

تذكّر الحسن كيف يطلب أهل النار شربة من ماء فلا يجدون، فتذكر نعمة الله، وجدير بمن تذكر نعمة الله أن يشكر الله! ومن أجل ذلك ورد في الخبر أن النبي - ﷺ - قال: عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، أو قال: ثلاثاً أو نحو هذا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» (١).

تذكير بحرمان المحرومين:

ومن أسرار الصيام الاجتماعية: أنه تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البائسين، تذكير بغير خطبة بليغة ولا لسان فصيح، تذكير يسمعه الصائم من صوت المعدة، ونداء الأمعاء فإن الذي نبت في أحضان النعمة، ولم يعرف طعم الجوع، ولم يذق مرارة العطش، فلعله يظن أن الناس كلهم مثله، وأنه ما دام

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٩٠) عن أبي أمامة، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف جداً، ورواه الترمذي في الزهد (٢٤٥١) وقال: حديث حسن، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٠٨).

يجد فالناس يجدون، ما دام يطعم لحم طير مما تشتهي، وفاكهة مما يتخير، فلن يحرم الناس الخبز والبقول! فلا غرو أن جعل الله من الصوم مظهرا للاشتراكية الصحيحة، والمساواة الكاملة، وجعل الجوع ضريبة إجبارية، يدفعها الموسر والمعسر، ويؤديها من ملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه، حتي يشعر الغني أن هناك معدات خاوية، وبطونا خالية، وأحشاء لا تجد ما يمسك الرمق، ويطفيء الحرق، فحري بإنسانية الإنسان وإسلامية المسلم، وإيمان المؤمن: أن يرقّ قلبه، وأن يعطي المحتاجين، وأن يمد يده إلي المساكين.

فإن الله رحيم وإنما يرحم من عباده الرحماء، وصدق رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١).

وقد رُوي أن يوسف عليه السلام كان يكثر الصيام – أو يقلل من الطعام – وهو علي خزائن الأرض، بيده المالية والتموين. فسئل في ذلك فقال: «أخاف إذا شبعت أن أنسي جوع الفقير».

العبودية الكاملة لله:

وفي الصوم قبل ذلك وبعده: تمام التسليم لله وكمال العبودية لرب الناس، ملك الناس، إله الناس، وهذه الحكمة هي القدر المشترك في كل عبادة، والهدف الأسمي من كل فريضة، ولن تكون العبادة عبادة، ولا العبد عبدا إلا بها. يقول رب العباد: «أمرت ونهيت» ويقول العبد: ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وما أظهر هذا التسليم والعبودية في الصوم خاصة، فالصائم يجوع ويعطش، وأسباب الغذاء والريّ أمامه ميسرة، لولا خشية الله، والرغبة في رضاه،

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٤١) عن عبد الله بن عمرو، والترمذي في البر والصلة (١٩٨٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٣٢).

ولهذا نسب الله الصيام إلي حضرته، وتولّي جزاء الصائمين بنفسه فقال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهواته وطعامه من أجلي»(١).

أيها الناس ذلكم هو الصوم في الإسلام، لم يشرعه الله تعذيبا للبشر ولا انتقاما، كيف وقد ختم آية الصوم بقوله: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وإنما شرعه الله إيقاظا للروح، وتصحيحا للجسد، وتقوية للإرادة، وتعويدا علي الصبر، وتعريفا بالنعم، وتربية لمشاعر الرحمة، وتدريبا علي كمال التسليم لله رب العالمين.

ومن رحمة رب العالمين: أنه شرع في الصيام رخصة الفطر لمن كان مريضا أو علي سفر، فيفطر ويقضي عدة من أيام أخر. كما رخص للحامل والمرضع أن تفطر وتقضيا إن تيسر لهما ذلك، أو تفتديا بإطعام مسكين عن كل يوم(٢).

المسلمون والصيام:

تلك حكم يجب أن نرعاها حق رعايتها، وأن نضعها نصب أعيننا في صومنا حتي يكون صوما يؤدي مهمته، ويفي بالغرض المقصود منه.

فليت شعري هل فقه المسلمون أسرار الصيام، وهل انتفعوا بشهر رمضان؟

أما أسلافنا فقد جنوا ثماره، وتفيئوا ظلاله، واستمدوا منه روح القوة، وقوة الروح، كان نهارهم نشاطا وإنتاجا وإتقانا، وكان ليلهم تزاورا وتهجدا وقرآنا، وكان شهرهم كله تعلما وتعبدا وإحسانا، ألسنتهم صائمة؛ فلا تلغوا برفث أو جهل، وآذانهم صائمة؛ فلا تسمع لباطل أو لغو، وأعينهم صائمة، فلا تنظر إلي حرام أو فحش، وقلوبهم صائمة، فلا تعزم علي خطيئة أو إثم، وأيديهم صائمة، فلا تمتد بسوء أو أذي.

---

(١) رواه مسلم في الصيام (١١٥١) عن أبي هريرة.

(٢) تحدث فضيلة الشيخ في كتابه: «فقه الصيام» بالتفصيل عن أصحاب الأعذار، وبين فضيلته من يجب عليه الفطر والقضاء ويحرم عليه الصوم، ومن يجوز له الفطر ويجب عليه القضاء، ومن يجوز له الفطر ولا قضاء عليه وإنما عليه الإطعام ... ص ٤١ وما بعدها طبعة مكتبة وهبة.

أما نحن فبئس موقفا وقفناه من رمضان!! جعله الله للقلب والروح، فجعلناه للبطن والمعدة، جعله الله للحلم والصبر، فجعلناه للغضب والطيش، جعله الله للسكينة والوقار، فجعلناه شهر السِّباب والشِّجار، جعله الله للحق والدين، فجعلناه للتين (وقمر الدين)[1]، جعله الله لنغير فيه من صفات أنفسنا، فما غيرنا إلا مواعيد أكلنا، جعله الله تهذيبا للغني الطاعم، ومواساة للبائس المحروم، فجعلناه نحن معرضا لفنون الأطعمة والأشربة، تزداد فيه تخمة الغني بقدر ما تزداد حسرة الفقير!!

الصوم حرب على الثالوث الخطر:

بئس القوم قوم اتخذوا من رمضان موسما للتعطل والتبطل، يأكلون فيه أضعاف ما يأكلون في غيره، وينفقون فيه أكثر مما ينفقون في شهور، نهارهم كسل ومنام، وليلهم شراب وطعام، وسهر جُلّه لغو وحرام.

أما والله لو انتفعنا برمضان كما يريد الإسلام، لكان حربا علي أعدائنا الثلاثة أو الأربعة من: الجهل، والفقر، والمرض، والرذيلة. التي نادي بمقاومتها السّاسَة والمصلحون والكُتّاب والخطباء.

نعم كان حربا علي الجهل، بما يلقي فيه من دروس العصر والعشاء والسحر والصباح، وما يعقد فيه من حلقات للتثقيف والتوجيه.

وكان حربا علي فقر الفقراء، بما يرقق من القلوب الجامدة عليها، فيجود الموسر علي المعسر، ويحسن الواجد إلي المحروم.

وكان حربا علي مرض المرضي، بما تستريح فيه المعدة، وتنتعش فيه الأجهزة من عناء أحد عشر شهرا.

وكان حربا علي الرذيلة، بما يهذب من أخلاق الصائم، ويعوده علي التغلب علي نزوات الجسد، وشهوات النفس.

---

(١) من أشهر المشروبات التى يتناولها المصريون وغيرهم فى شهر رمضان.

نصيحة إلي الصائمين:

أيها الصائمون:

إليكم نصيحتي فاسمعوها: لا تصوموا عما أحل الله وتفطروا علي ما حرم الله، بل اسمعوا قول رسولكم عليه السلام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(١). فصونوا جوارحكم، ونظفوا قلوبكم، وغُضّوا أبصاركم، واحفظوا ألسنتكم، وكُفّوا أيديكم، واعلموا أن بَعْد العناء روحا، وبعد الظمأ رِيا.

قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلن يدخل منه أحد»(٢).

بين الصوم والجهاد:

حقيقة إن في صيام هذه الأيام الملتهبة ما يتعب الجسد ويشق علي النفس، ولكن هذا كله تدريب لأمة ذات رسالة وجهاد علي ملاقاة الشدائد، واحتمال المشقات، وعلي قدر التعب والعناء، يكون الأجر والجزاء، ولنا في سلفنا أسوة حسنة، فقد كانوا يرحبون بأيام القيظ الشديد ليصوموا، طلبا لما عند الله.

بعث رسول الله ﷺ أبا موسي في سرية بحرية مع جماعة، فبينما هم قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة: قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله علي نفسه. فقال أبو موسي: أخبرنا إن كنت مخبرا، قال: إن الله قضي علي نفسه أن من عطش نفسه في يوم حار؛ كان حقا علي الله

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣) عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (٧٠٨) رواه البخاري في الصوم (١٨٩٦) ومسلم في الصيام (١١٥٢) عن سهل بن سعد.

أن يرويه يوم القيامة. فكان أبو موسي يتوخي اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرا، فيصومه[1].

ورُوي عن علي بن أبي طالب قوله: حبب إلي من الدنيا ثلاث: قري الضعيف، والصيام في الصيف، وحرب أعداء الله بالسيف.

فاصبروا أيه الصائمون نهاركم ولا تسأموا، وقوموا ليلكم ولا تكسلوا، وأحسنوا علي فقرائكم ولا تبخلوا؛ إن الله يحب المحسنين.

أحيوا ليالي رمضان بالقيام الخاشع، والعلم النافع، والتلاوة المرتلة، فعسي أن تصادفوا ليلة القدر فهي خير من ألف شهر.

رسالة إلى المفطرين:

أما أنتم أيها المفطرون المخدوعون فالتوبة التوبة، والإنابة الإنابة، قبل أن يفاجئكم الموت بسكراته، ويأخذكم الله بعذابه، وتندمون يوم لا ينفع الندم.

لقد رأي النبي ﷺ في منامه قوما معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل دما. فسأل من هؤلاء فقيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم[2].

إذا كان هذا جزاء من يهمل ويتسرع فيفطر قبل وقت الإفطار، فكيف بمن يجاهر بالإفطار نهارا في بلد دينه الإسلام؟!

أرشدوا هؤلاء الضالين أيها الصائمون، وخذوهم بالرفق، وأقنعوهم بالحسني أولا، فإن لم تجد معهم الحسني، فانهروهم بشدة، وخذوهم بقوة، وقاطعوهم في الله، وأبغضوهم لله، فإن أوثق عري الإيمان الحب في الله، والبغض في الله.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٣/ ١١) وابن المبارك في الزهد (٣/ ٤١٣) وذكره الألباني في ضعيف الترغيب (٥٧٨) ولهذا لم يذكره شيخنا في المنتقي من الترغيب.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٩٨٦) وابن حبان (٧٤٩١) وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح وصححه الحاكم علي شرط مسلم ووافقه الذهبي (١/ ٤٣٠) وانظر: المنتقي من الترغيب والترهيب للقرضاوي (٥٢١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) والصيام جنة فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»(١).

وعنه ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

* * *

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (٧٠٧) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٤) ومسلم في الصيام (١١٥١) عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٤) ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠) عن أبي هريرة.

(٤)

كيف نصلح عيوب أنفسنا ؟ [١]

الحمد لله. نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

أحمده سبحانه وأتوب إليه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، القائم على كل نفس بما كسبت، والعليم بأسرارها وإن خفيت، ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، كان أشد الناس مراقبة لربه، ومحاسبة لنفسه، ومع ذلك كان يقول لأمته معلما ومرشدا: « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة »[٢].

صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله على آله وصحابه، ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) لفضيلة الشيخ القرضاوي حفظه الله سلسلة من الخطب حول تزكية النفوس، خطبها في العامين (٢٠٠٤ م، ٢٠٠٥ م) ومنها:

١ - اعرف ربك.
٢ - حدد معرفتك بدينك.
٣ - الخروج من حب الدنيا إلى حب الآخرة.
٤ - الخروج من سجن الغفلة.
٥ - التوبة.

كما أن لفضيلة شيخنا العلامة كلاماً رائعاً في كتابه (الإيمان والحياة) تحت عنوان (الإيمان والإصلاح) ص ٣٠٦ وما بعدها. أوضح فيه كيفية الإصلاح والتغيير. طبعة مكتبة وهبة.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢) عن الأغر المُزَني.

ورضوان الله عن الداعين بدعوته، السالكين سبيله، المجاهدين جهاده إلي يوم الدين.

أما بعد فيا معشر المسلمين:

صلاح النفوس أساس كل شيء:

إن أساس النجاح، ومحور الخير يدور حول النفس البشرية، وإن كتائب النصر والنجاح في الدنيا والآخرة إنما تعتمد علي محور أصيل، وعمود ثابت. هذا المحور، وهذا الأساس هو صلاح النفوس وطهارتها. هذا هو الأساس لكل خير في الآخرة والأولي، فلن يصلح الفرد، ولن يفوز بالخير إلا إذا صلحت نفسه التي بين جنبيه، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

ولن تصلح الأمة ولن يصلح المجتمع إلا إذا صلحت نفوس أفراده، واستقامت علي أمر الله، وصارت علي طريق الله المستقيم. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١].

صلاح النفوس هو حبل النجاة، هو سفينة الإنقاذ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١][1].

---

(١) يجمع كل الدعاة والمسلمين علي ضرورة تغيير وضع أمتنا الراهن. وأن هذا التغيير لابد أن يكون مما هو عليه ليرتقي إلي الحسن ثم إلي الأحسن، وهذا التغيير ولا شك يشمل الأفراد والجماعات. كما يشمل المؤسسات والهيئات، وإذا كان الجميع متفقاً علي التغيير؛ فإنهم يختلفون في طبيعة هذا التغيير، وشكل هذا التغيير، وكيفية هذا التغيير.

ومن هنا فقد نادي الشيخ القرضاوي بفقه التغيير قبل المناداة بالتغيير، فلابد من معرفة سنن التغيير، ولئن كان التغيير السياسي مطلوباً وكذلك التغيير الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، فإن الشيخ يدعو إلي عدم إغفال أساس لابد منه، لأن هذا الأساس ذكره الله في القرآن في صورة قانون من قوانين الله، وسنة من سننه الاجتماعية التي لا تتبدل ولا تتغير، ألا وهو التغيير النفسي، أو علي حد تعبير القرآن «تغيير ما بالأنفس» وهو ما جاء في قوله تعالي: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١]. انظر: السياسة الشرعية/ص٣٢١ مكتبة وهبة.

فعلي كل منا أن يَرقُب هذه المُضغة – هذه اللطيفة الربانية – هذه الجوهرة الروحانية التي أسكنها الله به.. عليه أن يراقبها ويؤدبها ويزكيها، حتي تستقيم علي أمر الله عز وجل.

كيف نعالج عيوب أنفسنا:

هذه النفس إذا صلحت صلح كل شيء، وإذا فسدت فسد كل شيء.

أول ما يجب عليك أيها المسلم: أن تعرف عيوب نفسك، فإذا عرفتها فأصلحها.

ومن أين تعرف عيوب نفسك؟ أين المعلّم الذي يأخذ بيدك وينير لك الطريق؟

المُعَلم الأول: العلم النافع[1]:

الحق: أن هناك: أكثر من معلّم يرشدك ويعينك في هذا السبيل.

إنَ أول شيء تعرف منه عيوب نفسك، وأول مرآة مصقولة تري فيها عيوب نفسك: هو العلم النافع. فتعلّم وادرس.

اعرف كتاب الله، وسنة رسوله، ففيهما بيان أمراض النفوس وعلاجها، وأدواء القلوب وأدويتها. فعليك بالعلم خذه من أهل الثقات: المعلمين الربانيين، الذين تعلموا في مدرسة النبوة، وأخذوا منها أسوتهم، وكانت لهم تجربتهم في ميدان التربية والسلوك[2]. فانتفع بهم واقتبس منهم، ولا تكن عبدا لهم، بل كن عبداً لله وحده.

---

(١) لقد لاحظ الشيخ القرضاوي كما لاحظ غيره من الناصحين للأمة، أن الشباب الذي وقع في حفرة التكفير والتفسيق والتبديع، والتي جرته إلي التطرف طوراً أو الإرهاب طوراً آخر، إنما كان سببه الرئيسي هو إعراضه عن العلماء، وعزوفه عن مجالسهم، ونتج عن ذلك أن غاص هؤلاء الشباب في بطون الكتب مباشرة، دون أن يتعلموا فن السباحة في عالم يحتاج إلي سباح ماهر، وغطاس بارع، فخرج هؤلاء الشباب باللؤلؤ والمرجان من أمهات الكتب مشوباً ومخلوطاً بغيره، أو كما يقول الشيخ القرضاوي: دون أن يضعوه علي مشرحة التحليل وطرحها علي بساط البحث، ولكنه قرأ شيئاً وفهمه واستنبط منه، وربما ساء القراءة، أو أساء الفهم، أو أساء الاستنباط وهو لا يدري. انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف / ص٨٩.

(١) لفضيلة الشيخ كتابان يوضحان منزلة العلم وأهميته في حياة المسلم أحدهما: تحدث فيه عن مكانة العلم ومنزلته، ومبلغ «العقلانية» ومدي «العلمية» في القرآن، وهو «العقل والعلم=

المعلم الثاني: الأخ الناصح:

ثم من إخوانك وأصدقائك.. فإن الأخ الناصح، والصديق النافع، ليس الذي يجاملني علي حساب الحق، ويداري عليّ عيوبي، وإنما الأخ الحق: هو الذي يعرفني بعيبي، ولا يخشي من غضبي، فغضب الله أشد، وعليّ إذا كنت مؤمنا أن أتقبل نصحه وتوجيهه، فالمؤمن مرآة أخيه. يري فيه ما لا يراه في غيره. واعلم أن الرجل الذي يقول لي: اخش من شرارة النار في ثوبك أشكره علي هذا، وأطفيء هذه الشرارة. فما بالك بالذي يدلني علي الحذر من نار وقودها الناس والحجارة؟!

لقد كان (عمر) يقف علي المنبر ويقول: «رحم الله امرأ أهدي إليّ عيوب نفسي! مرحبا بالناصح أبد الدهر»، وكان يقول لحذيفة – وهو الخبير بأسرار المنافقين – يا حذيفة هل تجد في شيئا من خصال المنافقين؟ فيقول: لا يا عمر؟ ولا أزكي أحدا بعدك.

ويقول عمر مستنصحاً الأمة:

«من رأي منكم فيّ اعوجاجا فليقومني».

من أهدي لك عيبك، وعرفك بنقصك فهذا هو الأخ الناصح، والصديق الصادق، عليك أن تحمده وتشكره.

المعلم الثالث: المجتمع:

ثم من المجتمع الذي تعيش فيه.. تري ماذا يحمد الناس وماذا يذمون، ماذا يحبون وماذا يكرهون؟ ثم قس هذا علي نفسك. إن كانوا يحبون الإيثار فآثر غيرك علي نفسك، وإن كانوا يكرهون الأنانية والأثرة، فقس أخلاقك علي ما يحب المجتمع وما يكره. وأبعد نفسك عن الشر. وهذا إذا ظل المجتمع محافظا علي أصوله وقيمه وثوابته، ولم تجرفه رياح التقليد لمجتمعات أخري مخالفة له، فيقلدها ويمشي وراءها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع[1].

= في القرآن الكريم» والثاني: دراسة موضوعية لبيان موقف الرسول ﷺ في السنة والسيرة بمفهومه العام أو بمفهومه الحديث، وهو «الرسول والعلم»، والكتابان طبعة مكتبة وهبة.

(١) يشير فضيلة الشيخ إلي التقليد الأعمي الذي ينساق وراءه المسلمون ليقلدوا فيه غيرهم دون وعي أو إدراك. وهو الذي حذر منه النبي ﷺ حين قال: «لتتبعن سنن من قبلكم =

المعلم الرابع: الأعـــداء:

وهناك معلم رابع تعلم منه عيوب نفسك: هم أعداؤك. وكيف يكون عدوي معلما؟ نعم فإن هناك من أصدقائك وأحبائك: من يدارون عليك، ويسكتون علي عيوبك، أما خصمك فهو الذي يتمني لك الخطأة والغلطة ويبحث عنها ويبرزها إذا عرفها.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

فهم الذين يبصرون الذرّات من عيوبك، ولقد قال إمامنا الشافعي:

عُداتي لهم فضل عليّ ومنة فما باعد الرحمن عني الأعاديا

فهم بحثوا عن زلة فاجتنبتها وهم نافسوني فارتكبت المعاليا

بهذه الأمور الأربعة. نعالج عيوبنا، وندرك نقصنا.

النفس مجبولة علي الخير والشر:

إن النفس ليست شريرة كل الشر، ولكن فيها استعداد للخير، واستعداد للشر استعداد للتقوي واستعداد للفجور، كما قال تعالي: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: ١٠] ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ [الإنسان: ٣] ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس: ٧، ٨].

الأنفس ثلاثة:

وإن النفس أمارة بالسوء كما حكي الله علي لسان يوسف[١] ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٣]. النفس أمارة بالسوء، ميّالة إلي المنفعة الدنيوية، ميالة إلي اللهو واللعب، ولكنك تستطيع أن تقهرها علي الحق، وتدفعها إلي الخير، فتتعود عمل الخير وترك الشر.

= شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصاري؟ قال النبي ﷺ: «فمن؟!» رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦) عن أبي سعيد.

(١) هكذا كان رأي الشيخ في أول حياته العلمية، علي ما هو مشهور عند الكثيرين، ولكنه الآن يؤكد: أن هذا القول إنما هو قول امرأة العزيز كما يتبين من السياق.

فإذا فعلت شرا كان لك من نفسك السلاح، وكان لك من ضميرك حارس ناقم، يستطيع دائما أن يؤنبك، وأن يدفعك علي الخير إذا أهملته، وهذه هي (النفس اللوامة)، أي التي تلوم صاحبها علي ترك الخير وفعل الشر. تقول لك:

لماذا أكلت هذه اللقمة؟! ولماذا شربت هذه الشربة؟!

ولماذا تكلمت هذه الكلمة؟! ولماذا ضحكت هذه الضحكة؟!

ولماذا نظرت هذه النظرة؟! ولماذا فعلت هذا الفعل؟

﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨] هذه النفس هي التي أقسم الله بها فقال: ﴿ **وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [القيامة: ٢].

ثم إذا سارت نفسك علي هذا المنوال، وأصبحت تبتعد عن فعل الشر انخرطت إلي مرحلة أسمي، ومرتبة أعلي وأرقي، مرتبة (النفس المطمئنة)، وهي التي ناداها الله في كتابه فقال: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٨ – ٣٠].

المشارطة والمراقبة:

عليك أيها المسلم عندما تقوم من نومك أن تشترط علي نفسك شروطاً: ألا تهمل في صلاة، وألا تترك فريضة، وألا تتكلم كلمة فارغة، وأن تعرض عن اللغو.

شارط نفسك علي هذا، واعقد معها عقدا، واكتب عليها صكا، هذا قبل أن تعمل شيئاً، ثم إذا تقدمت للعمل فعليك أن تلزمها برقابة الله، وتذكرها بأن عين الله لا تغفل، وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ [المجادلة: ٧][1].

---

(١) شعائر الإسلام تنشيء فيما تنشئ قلوباً حية، وضمائر يقظة، وأفئدة سليمة، بل الإسلام كله أراد أن يكون المسلم كذلك، مراقباً لله في السر والعلن، في الظهور والخفاء، في الجلوة والخلوة، =

حكي الإمام الغزالي: أنا شابا غازل فتاة، وراودها عن نفسها، فأبت وامتنعت، فقال لها: ولم؟ ونحن في مكان خال، وليس معنا إلا هذه الكواكب. فقالت له: يا هذا وأين مكوكبها، ومسيرها؟!!

لقد حدثوا أن شيخا أراد أن يمتحن بعض التلاميذ فعقد لهم امتحانا، وأعطي كل واحد منهم عصفورة وسكينا. وقال لكل واحد منهم: اذهب في مكان خال من كل عين واذبحها.

فذهب هذا إلي (قاعة) وأغلقها علي نفسه ثم عاد بها مذبوحة، وذهب الثاني إلي جبل حيث لا إنسان فيه، ولا حيوان، وذبحها. وذهب الثالث وذهب الرابع.. وجاء كل منهم بطائره مذبوحا، إلا واحداً منهم لم يذبح طائره، وجاء به حيا، فقال له الشيخ: لم لَمْ تذبح طائرك؟ فقال التلميذ: لم أجد مكانا إلا من ورائها عينا ترقبني، فقال: أي عين؟ قال: عين الله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

ولله در القائل:

إذا مـــا خلوت الدهر يومـــا ... فلا تقل خلوتُ، ولكن قل علي رقيب!

ولا تحســبن الله يغــفل ســاعــة ... ولا أن مــا تخــفــيــه عنه يغــيب!

ذكّرها بالرقابة، وأن عليها «بوليسا» سريا يسجل عليك حركاتك وسكناتك، وغدواتك، وروْحاتك، وخطواتك، وكل ما تحدثك به نفسك، يسجل هذا عليك. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. ويوم القيامة ينادي المنادي عليهم: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

= وحده وأمام الناس، وإيمان العبد بالله عز وجل والتزامه بشعائره هو الذي يربي ذلك في نفسه، لذا كان من كلام الله عز وجل قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. بهذه الآية ومثلها كثير أراد الله عز وجل أن تصل قلوب أهل الإيمان إلي الحياة، وضمائرهم إلي اليقظة، التي يصل فيها العبد وكأنه يري الله، أو علي الأقل فليعلم بأن الله يراه، وهذا هو معني حديث جبريل في الإحسان: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». متفق عليه. البخاري في الإيمان رقم (٥٠)، ومسلم في الإيمان رقم (٩) عن أبي هريرة.

(٥)

من ثمرات رمضان التوبة[١]

الحمد لله.. تتبدل الأيام وهو لا يتبدل، وتتحول الأشياء والخلائق وهو لا يتحول، وتتغير السنون والأعوام وهو لا يتغير ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص: ٨٨].

أحمده سبحانه وأتوب إليه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. دعانا إلى حضرته، ونادانا إلى بابه، وأمرنا جميعا بالتوبة إليه فقال: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أخلص الناس لله، وأعرفهم بالله، وأتقاهم لله... عرف ربه فلم يجهله، وذكره فلم ينسه، وشكر له فلم يكفره، وأقبل عليه فلم يعرض عنه.. ومع هذا كان يقول لأمته معلما ومرشدا: « يا أيها الناس توبوا إلي الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة »[٢].

صلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم، ورضوان الله على آله وصحابته، ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة – ٦ شوال ١٣٧٢ هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٥٣ م.

ولفضيلة شيخنا العلامة القرضاوي خطبتان في الجزء الأول بعنوان: (التوبة) والثانية بعنوان: (أركان التوبة وشروطها)، كما أن لفضيلة الشيخ ضمن سلسلة (تيسير فقه السلوك في ضوء الكتاب والسنة) كتاب بعنوان (التوبة إلي الله) وقصد الشيخ من هذا الكتاب – وكذلك خطبه – إيقاظ القلوب الغافلة ورد العقول الشاردة وتقوية العزائم المسترخية ص٨ طبعة مكتبة وهبه القاهرة / ط الأولي ١٩٩٨ م.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن عناصر هذه الخطبة وما جاء فيها من أدلة ودلالات لم تتغير كثيرا عما سجله شيخنا في كتابه (التوبة إلي الله) وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي رسوخ هذه الأفكار والمعاني منذ زمن بعيد في ذهن الشيخ وفكره.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢) عن الأغر المُزَني.

وارض اللهم عن الداعين بدعوته، والسالكين منهاجه، المجاهدين في الله حق جهاده إلي يوم الدين.

أما بعد فيا معشر المسلمين:

وماذا بعد رمضان؟

ها نحن قد ودّعنا رمضان[1]، واستقبلنا شوال.. فماذا ننوي أن نفعل؟

لعلّ هناك كثيرا من الناس قد عادوا سيرتهم الأولي: إلي ترك الصلوات واتباع الشهوات، وساروا في ركاب الشيطان.

إن الشياطين قد انطلقت من عقلها[2] في شوال، وكثيرا من شياطين الإنس سيعودون علي شياطين الجن ليستمتع بعضهم ببعض، ويتعاون بعضهم مع بعض، علي معصية الرحمن!!

هذا دليل علي أن هؤلاء لم يعرفوا الله حقا في رمضان.

إن المقبول في رمضان من نراه يرجع إلي الله في شوال.

إن علامة قبول الصيام، وأمارة قبول القيام: أن يظل بعد ذلك مع الله، وأن يرجع إليه، وأن يقول قولة أبيه وأمه (آدم وحواء) ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إن الله محمود بكل لسان، معبود في كل زمان، مقصود في كل أوان، يحب أن يطاع في كل شهر، ويكره أن يعصي في كل حين ﴿ **وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾ [الزمر: ٧]. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) لفضيلة الشيخ القرضاوي خطبة في الجزء الثالث من الخطب بعنوان: (وقفات بعد رمضان)، وبها معان ماتعة، ووقفات نافعة، فلتراجع (ج٣/٢١٨ - ٢٢٩).

(٢) جمع عقال: وهو القيد وفضيلة الشيخ يشير إلى حديث النبي ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان؛ فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (٦٥٢) رواه البخاري في الصوم (١٨٩٨) ومسلم في الصيام (١٠٧٩) عن أبي هريرة.

﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

فلماذا نعبد الله في رمضان ونعرض عن الله في شوال؟!! إن أعظم ثمرة يخرج بها المسلم من رمضان هي: التوبة الصادقة النصوح من الذنوب، توبة من المعاصي، توبة من الآثام، ورجوع إلي الله رب العالمين.

موانع التوبة[1]:

هذه التوبة هي الثمرة الناضجة التي يقتطفها المسلم من شهر رمضان.. فماذا يحول بين المسلم والتوبة؟ ماذا يحول بين العبد والرجوع إلي الله تعالي؟

١ - الإستهانة بالمعصية:

لعل هناك قومًا يستهينون بالمعصية، ويستصغرون الذنوب، ولقد كان السلف الصالح يقول: «إن الذنب الذي يخشي ألا يغفر هو: أن يقول العبد: ليت كل ذنب فعلت مثل هذا».

ولقد أوحي الله إلي نبي من أنبيائه: لا تنظر إلي صغر الهدية ولكن انظر إلي عظمة مهديها، ولا تنظر إلي صغر المعصية، ولكن انظر إلي كبرياء من عصيته بها.

وفي الحديث الشريف: «المؤمن يري ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وأن الفاجر يري ذنوبه كذباب وقع علي أنفه فقال به هكذا»[2].

كان السلف يخشون من الذنب الصغير الضئيل، ونحن الآن لا يهمنا الذنب العظيم.

---

(١) ذكر شيخنا في كتابه «التوبة إلي الله» الموانع من التوبة، وعدد شيخنا من هذه الموانع ستة، وهي:

١ - الإستهانة بالذنوب.
٢ - طول الامل.
٣ - الاتكال علي أماني العفو الإلهي.
٤ - استحكام الذنوب واليأس من المغفرة.
٥ - الجهل بحقيقة المعصية.
٦ - الاحتجاج بالقدر.

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨) عن ابن مسعود.

ولقد مر جماعة علي أحد الصالحين وهو يبكي بكاءً مراً، ويذرف دموعاً ثخينة. فقال بعضهم: يا أبا فلان: ما لنا نراك تبكي، وما رأينا منك فريضة تركتها، ولا حرمة انتهكتها؟ فقال: والله ما أبكي علي ذنب فعلته، ولا علي واجب أهملته. إنما أبكي لأني أخشي أن أكون قد أتيت ذنبا أحسبه هينا وهو عند الله عظيم[1].

وقد ذكرت عائشة مرة إحدي ضرائرها فأشارت إلي أنها قصيرة القامة! فقال رسول الله - ﷺ - «يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[2].

وكان أنس (رضي الله عنه) يقول: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها علي عهد رسول الله (ﷺ) من الموبقات[3].

هذه هي ضمائرهم الحساسة، وقلوبهم اليقظة، لم يكونوا يستصغرون الذنوب بل كانوا يستصغرون الطاعات.

٢- التسويف وطول الأمل[4]:

فماذا يحول بين العبد وربه؟

استهانة بالمعصية؟ أم تسويف وتأجيل وتأخير؟

إن أكثرنا يقول: غدا أتوب.. ثم يأتي الغد فيقول: بعد غد أتوب.. يقول ابن العشرين: سأتوب في الثلاثين، ويقول ابن الثلاثين: سأتوب في الأربعين، ويقول ابن الأربعين: سأتوب في الخمسين.. وهكذا نري الصغير والكبير، والشاب والكهل، كلهم يُسوِّفون ويُؤجِّلون، ولا يدرون أن كل امرئ مهدد بالموت في أي لحظة، وأن الموت أدني إليه من شراك نعله، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

---

(١) وهو يشير إلي ما ذكره القرآن في قصة أم المؤمنين عائشة وكيف لاكت بعض السنة المسلمين حديث الإفك عنها، الذي أشاعه المنافقون فتلقفوه بسذاجة وغباء، ونقله بعضهم عن بعض باستهتار، وبلا تهيب، فجاء القرآن يعقب ويقول: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٥) والترمذي في الأدب (٢٥٠٤).

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢) عن أنس.

(٤) للمزيد انظر: كتاب الشيخ: (التوبة إلي الله) ص ٢٤٧).

إن كل إنسان يخرج من بيته ولا يدري أيعود حياً أم ميتاً؟ يخرج ولا يعرف أيعود حاملاً أم محمولاً؟ إنك تلبس الثوب فلا تدري أتنزعه بيديك أم تنزعه عنك يد الغاسل؟

إن الأجل مجهول، وإن العمر خاتمته غير معروفة، أخفاها الله عن الإنسان ليبادر إلي التوبة، ويسرع إلي الطاعة، ويفر من المعصية.

إن الذنوب شجرة خبيثة، كلما أذنبت ذنبا، تمكن جذر هذه الشجرة من القلب، فعلي المسلم أن يبادر بالتوبة قبل أن تتراكم الذنوب علي قلبه، فالقلب كالمرآة المجلّوة الصافية، إذا أذنبت ذنبا، نكت فيه نكتة سوداء، فإذا تاب محيت، وإذا عاد صارت نكتة بجانبها، حتي يتراكم السواد علي القلب(١). فهذا هو الران الذي قال الله فيه: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾

[المطففين: ١٤]

إن تأخير التوبة، وتسويف الرجوع إلي الله يؤدي إلي أن تتراكم الذنوب علي القلب، فربما ختم علي الإنسان بغير الإيمان، والعياذ بالله!!

وربما جاءه الموت فيقول: ليتني فعلت، ليتني رجعت، هل لي من تأخير؟ هل لي من تأجيل؟؟ وهيهات هيهات أن يكون ذلك، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [المنافقون: ١٠].

٣ - الاتكال علي أماني العفو الإلهي:

ماذا يحول بين العبد وبين التوبة؟

أهو الاستهانة بالمعاصي والذنوب؟ أم هو التسويف والتأجيل؟ أم هو الاتكال علي رحمة الله وعفوه؟

---

(١) يشير فضيلة الشيخ هنا إلي حديث حذيفة وفيه يقول النبي ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عودا، فأي قلب أشربها (دخلت فيه دخولاً تاماً) نكت فيه نكتة (نقطة) سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير علي قلبين علي أبيض مثل الصفا (الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرْبادّ كالكوز مُجَخِّيًا (مائلاً) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه» رواه مسلم في الإيمان (١٤٤) عن حذيفة بن اليمان.

هذا اتكال المغرور الجاهل . . إن الله كما أخبر أنه غفور رحيم، حذّرنا أن عذابه أليم شديد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٤٣] وقال سبحانه: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال أيضا: ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ** ﴾ [غافر: ٣]، وقال جل شأنه: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ** ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

فلماذا نأخذ بآية وننسى أخرى؟ لماذا نقول: هو الغفور الودود. وننسى قبلها ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾.

لقد كانت السيدة رابعة العدوية [1] تتغني بهذين البيتين وتقول:

مـا بال قلبك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس؟!

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس!

إن رحمة الله وسعت كل شئ . . . ولكن هل يُرمي بها بلا قاعدة ولا نظام . . لقد قال ربنا: ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٦]. والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك [2]. إن رحمة الله واسعة؛ ولكن لمن كتبها؟ ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧].

إن شؤم الذنب خطير [3] . . إن الله عاتب أنبياءه على هفوات صغرى . . لقد التقم الحوت يونس لغضبة غضبها في غير محلها، وعاتب ربنا نوحًا من أجل كلمة قالها . . ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود: ٤٦]، وعاتب الله

---

(١) رابعة العدوية من الشخصيات التي كثر الجدل حولها وحول ما ينسب إليها ولفضيلة الشيخ فتوي كاملة تحدث فيها عن رابعة وما يدور حولها، وما يقبل من كلامها وما لا يقبل، انظر: فتاوي معاصرة (٢ / ٥٠٣ – ٥١٢) طبعة دار القلم.

(٢) إشارة إلي حديث جبريل الطويل، والحديث رواه مسلم في الإيمان (٨) عن عمر ابن الخطاب.

(٣) للإمام ابن القيم كلام طويل في آثار الذنوب وشؤم المعاصي، أطال النفس فيه في كتابه (الداء والدواء) فليراجع.

آدم بل أخرجه من الجنة من أجل لقمة أكلها في غير ما أمر الله ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦].

ماذا نكون نحن بعدهم؟ وقد نخوض في الذنوب خوضاً، وننغمس في المعاصي انغماساً، ونقول (هو الله الغفور الرحيم)!.

يا ناظرا يرنو بعيني راقد ... ومشاهدا للأمر غير مشاهد!
أنسيت نفسك ضلّة وأبحتها ... طرق الرجاء، وهنّ غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى ... نيل الجنان بها وفوز العابد!
أنسيت أن الله أخرج آدما ... منها إلى الدنيا بذنب واحد؟!

أخرج الله آدم بمعصية ضئيلة من الجنة .. فكيف نحن وقد نأتي بالمعصية إثر المعصية، علينا ألا نتكل علي عفو الله فقط، فليس هذا من الرجاء في شئ إنما هذا أمنية فارغة، وحمق باطل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمني علي الله الأماني»[1].

وقال علي بن أبي طالب: إياكم والاتكال علي الأماني، فإنها بضائع النوكي» أي الحمقي.

والشاعر يقول:

ولا تكن عبد المني، فالمني ... رؤوس أموال المفاليس

وقال آخر:

اعلل بالمني قلبي، لعلي ... أروح بالأماني الهم عنّي!
واعلم أن وصلك لا يرجي ... ولكن لا أقل من التمني!

٤ - اليأس من رحمة الله:

ماذا يحول بين العبد وربه.

أهي استهانة بالمعاصي؟ أم طول الأمل وتسويف وتأجيل؟ أم هو اتكال علي عفو الله؟ أم هو يأس من رحمة الله؟!

---

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣) عن شداد بن أوس، وقال مخرّجو المسند: إسناده ضعيف، ورواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠) والترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٩) وقال: هذا حديث حسن، ورواه الحاكم وقال: صحيح ووافقه الذهبي (٤/٢٥١).

إن الذين ييأسون من رحمة الله، وينظرون إلي الدنيا وقد تقطعت أسبابها، فيعرضون عنه إعراضا، ويصدون عنه صدودا، وينفضون أيديهم من التوبة: جاهلون مخطئون في حق الله .. فإن الله «يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتي تطلع الشمس من مغربها» (١).

إن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم» (٢).

وقال الله في الحديث القدسي: «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» (٣).

التوبة ثمرة رمضان:

إن المسلم حقا هو الذي اقتطف أعظم ثمرة من رمضان، وندم علي المعصية، وعزم علي الطاعة، واحترق قلبه بنار الحسرة علي ما فات، ثم عاد مخلصا .. فإن باب الله ليس عليه حاجب ولا بواب .. بابه مفتوح لكل طالب حتي تطلع الشمس من مغربها.

ليس عجيبا أن يخطئ ابن آدم فهو مخلوق من طين، والطين لا يخلو من كدر، وما سمي الإنسان إنسانا إلا لنسيانه ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ**﴾ [طه: ١١٥]

وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمن كمثل السنبلة تخر مرة وتستقيم مرة» (٤).

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩) عن أبي موسي.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩) عن أبي هريرة.

(٣) رواه (الترمذي) في التوبة (٣٧٨٩) عن أنس بن مالك وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٠٥) ولمسلم عن أبي ذر: (ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٦).

(٤) رواه أحمد (١٤٧٦٢) عن جابر وقال مخرجو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، ورواه عبد بن حميد (١٠١٠) والبزار (٤٦). وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام، ورواه البزار ورجاله ثقات (٢/٢٩٣).

إنما العجيب كل العجيب: أن يتشبث بالذنوب، ويتمادي في الخطأ ويصر علي عدم مصالحته لربه.

أما إنه إذا أذنب ثم تاب فإن الله يقول: ﴿ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾ [الإسراء: ٢٥] والأواب: كثير الأوبة إلي الله، كلما عصي ربه آب إليه، ولم ييأس من روحه. فإن مغفرة الله تعالي أوسع من ذنوبه، وأكبر من معاصيه.

وقال النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوّابون»(١).

أيها المسلم:

إن أعظم ثمرة تقتطفها من رمضان: إنما هي توبة صادقة، توبة نصوح نقرع بها باب ربنا، ونغسل بها ذنوبنا بدموعنا، ونرجع بعدها بقلوب صافية، وعزائم جديدة، لا تنثني للشيطان، ولا تلين للغواة الغزاة، الذين يغزون القلوب، كما يغزو الاستعمار البلاد والشعوب.

علامة التوبة النصوح(٢):

وعلامة هذه التوبة: أن يهجر الإنسان بيئة الشر ويبحث عن وسط خير، وبيئة طيبة كريمة ليتقبله الله، ويسلكه في حزبه الغالبين، ويدخله برحمته في عباده الصالحين.

وقد رُوي في بعض الآثار القدسية أن الله يقول: «إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلي العباد نازل،

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٦١٢) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١) والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: علي لين (٤/ ٢٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٢٩) وانظر: المنتقي من الترغيب والترهيب (١٩٢٧).

(٢) ذكر فضيلة الشيخ في كتابه (التوبة إلي الله) علامات التوبة وأطال النفس هناك، ونقل الشيخ هناك جزءاً من الكلام النفيس لابن القيم في مدارج السالكين. فليراجع ص ١١٨ وما بعدها.

وشرهم إليّ صاعد أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي، وهم أفقر شئ إلي، من أقبل إلي تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد.

أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا إلي فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب.

من آثرني علي سواي آثرته علي سواه، الحسنة عندي بعشر أمثالها، إلي سبعمائة ضعف، إلي أضعاف كثيرة، والسيئة عندي بواحدة فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له. أشكر اليسير من العمل وأغفر الكثير من الزلل رحمتي سبقت غضبي وحلمي سبق مؤاخذتي وعفوي سبق عقوبتي.

* * *